مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر المجلد: 11 / العـدد: 01 (جانفي 2023) ص 21– 37
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

إبستيمولوجيا أفعال الكلام

Epistimology of speech acts

سوسن مزيتي
Saoussene MEZITI
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، dr.meziti@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/14	تاريخ القبول: 2022/07/16	تاريخ النشر: 2023/01/22

الملخص:

تعدّ ظاهرة أفعال الكلام أهمّ مبحث في التداوليّة، وهذه الحقيقة لا تعدو أن تكون نتيجة علميّة كثيرا ما يشتغل الباحثون بظاهرها فيعكفون على إبراز حيثياتها و تفاصيلها، لكنّهم يُغفلون جانبا هاما من البحث فيها وهو أن يؤرّخوا لها إبستيمولوجيا، مما يؤدّي للكشف عن البدايات الأولى لنتائجها، ويُعنى أيضا بواقعها الحالي فيدرس مفاهيمها من حيث ثبوتها أو تحوّلها، و كذا ما ستؤول إليه في المستقبل، و في هذا السّياق سنغوص لنكشف عن تلك الأسس الإبستيمولوجيّة بوصفها آليات فعليّة تتحكّم في عمليّة إنتاج الظواهر العلمية. وإذا كانت فلسفة اللغة العادية هي الأرضية المباشرة التي انبثقت منها أفعال الكلام، فقد مهّدت لها الفلسفة التحليليّة من قبل، و أرست دعائمها النزعة الإنسانية في الفلسفة.

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام ، براغماتية ، إبستيمولوجيا ، فلسفة تحليلية ، فلسفة اللغة العادية.

Abstract :

The phenomenon of speech acts is considered as the most important topic in Pragmatics. This fact is purely a scientific result. Researchers are often interested in its appearance; they focus on highlighting its merits and details. However, they forget an important aspect of research within it which is dating an epistemology for it which helps in revealing the first beginings of its results. They are also interested in the current reality of this phenomenon, and study its concepts in terms of its confirmation or transformation as well as what it will become in the future. In this context, we will dive to reveal those epistemological foundations as being actual mechanisms that control the production's process of scientific phenomena. Moreover, if the philosophy of ordinary language was the immediate ground from which speech acts were born, analytic philosophy had paved the way for it before, and humanism laid its foundations in philosophy.

Keywords: Speech acts ,Pragmatics, Epistemology, Analytical Philosophy, Ordinary language.

المؤلف المرسل: سوسن مزيتي، **الإيميل**: dr.meziti@gmail.com

1.مقدمة:

تكتسي نظريّة المعرفة (الإبستيمولوجيا Epistemology) أهمّية كبرى في جميع قطاعات المعرفة، وذلك لما وضعت في مركز اهتمامها البحث في أصول العلوم، ولهذا لا نتوقّع أبدا– في رحاب الإبستيمولوجيا– أن نجد مجرّد وصف لتلك النتائج المتوصّل إليها في مختلف العلوم، بل سنجد اهتماما مُبرّزا بتاريخ حياة العلوم ومخاضها، وهو بمثابة تأريخ فعليّ لتاريخ حياة العلوم يُعنى فقط بالنظر في تلك العلاقات الناشئة في ظلّ المعرفة حاليا ومستقبليا متوسّلا في ذلك بوضع مجهر التاريخ على البدايات الأولى لها، باحثا عن مسارحَ لنقدها فلسفيّا من حيث توظيفها و تأويلها، ولهذا غدا البحث في أصول العلوم مطمحا لكلّ باحث، فلولاه لما وسعنا تشكيل وعي بالإطار النظري الذي يلمّ شمل شتاتها، ويحقق وحدتها، بل ويحدّد حتّى معالم منهجيّتها و يجعل فروعها مفهومة، وجزئياتها مترابطة.

وبما أن أفعال الكلام ظاهرة علميّة تداولية، فهي إذا ليست نتاج اللحظة التي كان يفكّر فيها جون لانجشو أوستين John Langshaw Austin(1911-1960م) أو من سبقوه، ومن هنا سنؤّسس لمشروعية بحثنا بالتساؤل الرئيسي الآتي: ما هي الأسس الإبستيمولوجيّة المُسهمة في بروز أفعال الكلام بوصفها أهم مبحث تداوليّ؟ هذا ويتفرّع التساؤل الرئيسيّ إلى تساؤلات فرعيّة أخرى لعلّ أبرزها: ما علاقة أفعال الكلام بنشأة التداوليّة؟ هل هناك علاقة بين الفلسفة البراغماتية (النفعيّة) و بين التداوليّة؟ أيُّ فرع من فروع الفلسفة التحليلية انبثقت منه أفعال الكلام؟ و هل أطّرت النزعة الاسميّة ظاهرة أفعال الكلام أم أن تأطيرَها كان من نصيب النزعة الإنسانيّة ؟

ونحن نسعى للإجابة عن جميع تلك التساؤلات إنّما نهدف للكشف عن إرهاصات تشكّل ظاهرة أفعال الكلام، و كذا وضع مجهر التأريخ الإبستيمولوجي حول مخاضها، أو بالأحرى حول لحظة ميلادها وانبثاقها.

ودفعا بالسّعي نحو تحقيق المراد سنقدّم للموضوع بمقدّمة نعرض فيها أهميّة نظريّة المعرفة في الكشف عن أصول العلوم، ونطرح ضمنها إشكالية البحث ونوضّح الهدف منه. فيما يخصّ العنصر الثاني فكنّا قد ألقينا فيه نظرة كشفيّة عن أصول النّزعتين؛ الاسميّة والإنسانية في الفلسفة، أما الثالث فخصصناه للحديث عن الفلسفة التحليلية مركّزين على أهم فرعين لها وهما الوضعية المنطقية و فلسفة اللغة العاديّة. خطونا بعدها خطوة مركّزة في العنصر الرابع أوضحنا فيها محلّ الفلسفة التحليلية من النزعتين الاسمية والإنسانية، كما كشفنا، من جهة أخرى في العنصر الخامس، محلّ أفعال الكلام من الفلسفة التحليلية، لنختم بخاتمة جملنا فيها أهمّ ما تمخّض عنه البحث من نتائج و استنتاجات و ملاحظات.

2. النزعتين؛ الاسمية والإنسانية في الفلسفة:

هناك اتّجاهان فلسفيان كانا قد سيطرا على المشهد الفلسفي منذ القديم؛ وهما الاتّجاه الاسمي أو النّزعة الاسمية، والتي ترى بأن اللغة مجرد صورة للعالم ، فهناك كلمات ، وهناك أشياء ، و أشياء، وكل شيء له اسم يقابله و بالتالي لا مجال للبعد الإنساني و التفاعل الاجتماعي في تحديد المعنى" (الجزيري، 1986، صفحة 15)، وبهذا المنظور تكون العلاقة بين اللغة والعالم علاقة انعكاسية ارتداديّة؛ فكل ما هو لغة إلا وتجد له انعكاسا منضبطا في عالم الأشياء، وبالمقابل كل شيء من عالم الأشياء إلا وتلفي له صورة ارتدادية لغويّة لا تبرحه دلالة ومعنى، وهذا ما سيقصي بدوره أيّ بعد سياقيّ تضفيه مخرجات العملية التخاطبيّة بين أفراد المجتمع .

أما النّزعة الأخرى فهي الإنسانيّة/الاجتماعية، و التي تنحو منحى مغايرا، و ترى خلاف سابقتها؛ إذ الكلمات بالنسبة إليها" ليست هي التي تحدّد معاني الأشياء ، و إنما البشر أنفسهم بواسطة الكلمات هم الذين يحدّدون معاني الأشياء، بمعنى أن الجملة لا تمثّل العالم ، وإنّما البشر بواسطة الجمل يحدّدون معنى العالم ، فعن طريق القضايا لا نمثّل العالم فقط و إنما نعيشه أيضا ، فاللغة لا تضعنا و إنما نحن الذين نضعها" (الجزيري، 1986، صفحة 15)، وهذا ما سينفي العلاقة اللّزوميّة بين الأشياء في العالم وبين معناها في الحيّز اللّغوي، و يؤكّد– من جهة أخرى– الدور الحاسم للبعد الإنساني الاجتماعي في صناعة المعنى و تحيينه بحسب متطلبات الحالة النفسيّة والسّياقيّة للدورة التخاطبيّة .

وإذا عدنا بهذا الطّرح والتجاذب بين النزعتين الاسميّة والإنسانية إلى الوراء ألفيناه موضوع بحث رئيسيّ عند الفلاسفة المتقدّمين على سقراط Socrates (470–399 ق.م)، و كذا السفسطائيين المتأخرين، ويتلخّص هذا الموضوع في التساؤل الآتي:"إلى أي مدى كانت المعايير والأعراف والأحكام المقبولة لما هو صحيح أو خاطئ [...] قائمة في طبيعة الأشياء و إلى أي مدى هي أساسا عبارة عن نتائج للعرف الضمني أو حتى نتائج للتشريع المحدّد" (روبنز، 1997، صفحة 40).

إنّ هذا التساؤل الرئيس قد بدا جليّا في ثنايا محاورات سقراط لتلميذه أفلاطون Platon(427-347 ق.م)، و إن كان الدّارسون للفلسفة اليونانيّة قد وجدوا صعوبة في التمييز بين رأي المعلّم والتّلميذ، وأحسن مرحلة مثّلت ذلك الالتباس هي المرحلة الأولى من كتابات أفلاطون، ويزداد الطّرح جدّية ويصير مؤهّلا للجدل والتّقصّي أكثر لما كانت"معرفتنا بسقراط معرفة غير مباشرة، فهو لم يترك لنا أيّ كتابات كتبها بنفسه، ولكن مناقشاته ووجهات نظره قد وردت في بعض كتابات زينوفون Xénophon (430-354 ق.م) وفي محاورات أفلاطون الأكثر شهرة على الرغم من أنّ هناك سؤالا مفتوحا دائما، بالنسبة لمحاورات أفلاطون وهو: إلى أيّ مدى يكون ما لدينا مأخوذا عن

سقراط بشكل مباشر؟ و إلى أيّ مدى هو أفكار أفلاطون عبّر عنها بوصفها أحاديث سقراط " (روبنز، 1997، صفحة 40)

لقدّ بدَت النزعة الاسميّة جليّة و بشكل مركّز في محاورة كراتيليوسCratylus التي ألقت الضوء على رأيين مختلفين وبيّنت نظرتهما إلى أصل اللغة وأصل الأسماء، حيث" بدأ أفلاطون محاورته هذه بسؤال صريح عن الأسماء: هل هي طبيعيّة أم اصطلاحيّة" (أفلاطون، 1995، صفحة 35)، وقد مثّل النظرة الطبيعيّة في المحاورة هراقليدس البنطي Heraclites du pont (388–312 ق.م)، فيما نقله عنه كراتيليوس، بينما انتصر ديموقريطس Dimocritus (460–370 ق.م) للنظرة الاصطلاحيّة بحسب ما نقله عنه هورموجينس Harmodios (بغوره، 2005، صفحة 15)

يتقاسم إذا النّزعة الاسمية اتجاهين اثنين؛ الاتجاه الطبيعي عند هراقليدس، والذي كان" يهتم بشكل كبير بتحليل الأسماء؛ لأنها تعبّر في نظره عن ماهية الأشياء" (بغوره، 2005، صفحة 16)، وفحوى ما ذهب إليه هذا الأخير هو ما عبّر عنه كراتيليوس بقوله: "يوجد بالطبيعة اسم صحيح لكل كائن في الحياة. إذ الكلمة ليست تسمية يطلقها البعض على الشيء بعد التواطؤ، لكن ثمّة بالطبيعة، لليونانيين والبرابرة، طريقة صحيحة للتدليل على الأشياء، هي ذاتها عند الناس" (بغوره، 2005، صفحة 16)، وهذا ما يؤكّد أنّ معنى الكلمات ينبع من الطبيعة، كما أنّ "علم الأسماء يقودنا إلى علم الأشياء [...] وهكذا ننتقل حتما من دائرة اللغة إلى دائرة الفلسفة، من الكلمات إلى الماهية. وتوسّعا بهذا المبدأ انتهى هراقليدس إلى القول بأنّ الأسماء تُعطى من قوّة إلاهية ، لقد جاءت وفقا على المسميات ، تلك هي التوقيفية في اللغة" (بغوره، 2005، صفحة 16)

أما الاتجاه الاصطلاحي عند ديموقريطس فيرى بأنّ "منشأ اللغة عملية تواطئيّة ، لأن الشيء الواحد ذاته كثيرا ما يقبل عدّة أسماء، ولأنّ الشخص الواحد ذاته يظلّ هو هو، تطوّره أو تنازله عن اسمه" (بغوره، 2005، صفحة 16)، وهذا ما عبّر عنه هرموجينس حينما رأى بأنّ "الاسم الذي نطلقه على الشيء هو الاسم الصحيح، فإذا استعضنا عنه أتى الثاني صحيحا كالأوّل. نغيّر أسماء عبيدنا بدون أن يكون الاسم الجديد أقلّ حظّا في الدقّة من السابق، لأن الطبيعة لا تأخذ على عاتقها أن تطلق أسماء خاصّة على أشياء خاصّة . التسمية وليدة التكرار والعادة عند الذين زاولوا فعلها" (بغوره، 2005، صفحة 16). و إذا تقصّينا الأمر بالنسبة للاتّجاهين؛ الطبيعي والاصطلاحي سنجدهما بارزين لدى فلاسفة العصور الوسطى عامة والأرسطيين منهم على وجه الخصوص، وهو ما أدّى بدوره إلى تنامي الدراسات الكونيّة الكوزمولوجية، مما أفرز تراكم البحوث المهتمّة بالطبيعة والفلك على حساب الدراسات الإنسانية والاجتماعية في شتى العلوم.

3. الفلسفة التحليلية Analytic philosophy:

نبحث هنا عن تلك الخلفية المعرفيّة التي كان لها أثر فعليّ في إنتاج ظاهرة أفعال الكلام العامة ضمن التّداولية، وكيف تبلورت التّصوّرات العلميّة الأولى حولها، و كيف تحوّلت من الحقل الفلسفيّ إلى الحقل اللّسانيّ، ولهذا فالظاهرة التي نحن بصدد دراستها الآن لم تكتسب شرعية وجودها إلا لما انقلبت الموازين وتغيّرت التصوّرات و الاهتمامات، وحتى القناعات في الفلسفة المعاصرة؛ حيث "حدثت عملية تحوّل للفلسفة في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، من دراسة مواضيع الوجود والمعرفة والقيم إلى دراسة اللغة في ذاتها، وهو ما اصطلح عليه بالمنعطف اللغوي ، الذي يعرف هو نفسه تحولات جديدة، أعادت للفلسفة دورها و قضاياها و مشكلاتها" (بغوره، 2005، صفحة 225)، و قد جسّد هذا التحوّلُ – من الناحية التاريخيّة– ما يصطلح عليه بـ الوضعية المنطقيّة Logical positivism و هي أشهر تسمية لهذا التيار الفلسفي، كما يسمّى أيضا التجريبية المنطقيّة أو حلقة فيينا، إلا أن المناخ الفلسفي العام الحاضن لهذه الرؤية الجديدة كان قد تمثّل في ما يعرف بـ(الفلسفة التحليليّة)، و الأساس الذي ركّزت عليه هذه الأخيرة في الجديد الذي أتت به هو أنّها "حوّلت التحليل اللغوي المنطقي إلى واقع فلسفي قائم، وحصرت الفلسفة في مهمّة التحليل اللغوي، وأعطت الأولوية للغة على الفكر ؛ بمعنى آخر يكون الفكر عند الفلاسفة التحليليين متحقّقا في اللغة، بل قد تجاوزوا هذا الطّرح حينما عدّوا اللغة هي الفكر نفسه" (هويدي، 1993، صفحة 144).

ويجد المتتبّع لمضمار الفلسفة التحليليّة أنّ روّادها أنفسهم كانوا قد وجدوا صعوبة في التّعريف بها على وجه جامع مانع، وهذا ما جعل بعضهم يتجاوز مسألة التعاريف والحدود التي لا طائل من ورائها إلى رصد ملامح تمييزيّة لما تشعّب من تلك الفلسفة، متى اجتمعت في فلسفة ما أمكننا أن نصفها بالتّحليليّة دون تردّد، ولعلّ تلك الملامح التي رصدها(هنريك سكوليموفسكيHenryk Skolimowski "1930–2018م") من أحسن ما قُدّم لوصف الفلسفة التحليلية وهي :

1– إعطاء أهمّية قصوى للغة أثناء التحليل الفلسفي؛ أي أنّ اللغة تعدّ بؤرة الاهتمام بعدما كانت في الهامش في الفلسفات الكلاسيكيّة (الميتافيزيقية والطّبيعيّة) .

2– تسعى إلى حلّ مختلف المشكلات الفلسفيّة و تحويلها إلى عناصرَ صغيرة حتّى تكون لها كفاءة عالية في التحليل، وبالتالي مصداقيّة كبيرة في النتائج المتوصّل إليها.

3– التزامها بالخطّ المعرفي أثناء التحليل الفلسفي.

4- تجنح، وهي تمارس التّحليل، إلى نوع من المعالجة يُصطلح عليها البين ذاتية Intersubjectivity (مهران، 1976، الصفحات 11-12)

كما أنّ بعضهم قد رصد ملمحا تمييزيّا آخرا لما هو فلسفة تحليليّة، إنّه" تجديد وتعميق بعض المباحث اللغويّة، ولا سيما مبحث الدلالة والظواهر اللغوية المتفرّعة عنه" (صحراوي، 2005، الصفحات 21-22)

وفيما يذهب إليه سكوليموفسكي فإنّ تلك الملامح الأساسية التي سجّلها" تكفي لتمييز الفلسفة التحليلية عن غيرها من الأنماط الفلسفيّة الشبيهة بها من ناحية وضرورية من ناحية أخرى لوصف أي فلسفة بأنها تحليليّة. ولكن ينبغي أن نلاحظ هنا أنّ هذه الخصائص ليست فريدة بمعنى أنّنا لا يمكن أن نجدها في أي فلسفات أخرى، بل على العكس قد نجدها متفرّقة في بعض الفلسفات، وما هو فريد هنا هو تجمّعها؛ أعني ظهورها جميعا في وقت واحد داخل هيكل الفلسفة التحليلية" (مهران، 1976، صفحة 12)

وقد انتظم داخل الفلسفة التحليليّة مجموعة تيارات فرعيّة هي" تيار اللغة العادية، عند جورج إدوارد مور George Edward Moor (1873-1958م)، وبرتراند أرثر ويليام راسل Bertrand Arthur William Russell (1872-1970م)، و لودفيج فتجنشتاينLudwig wittgenstein (1889-1952م) ، وتيّار اللغة الاصطناعية الذي يدرس اللغة الشكلية أو الصّوريّة، وهو الاتجاه الذي تمثّله الوضعيّة المنطقية بزعامة رودولف كارنابRudolf Carnap (1891-1970م)، و ألفرد جول آير Alfred Jules Ayer (1910-1989م)، التي تقوم على التّحليل المنطقي للجمل والقضايا اللغوية، والتحولات التي عرفها هذا التوجّه عند بيتر فريدريك ستراوسون Peter Frederich Strawson(1919-2006م) و شاول آرون كريبك Saul Aron Kripke(ولد عام 1940م)، وويلارد فان أورمان كوايWillard Van Orman Quine (1908-2000م)، وتيار أفعال اللغة بزعامة جون روجرز سيرل John Rogeers Searle (ولد عام 1932م) و أوستين ضمن مدرسة أكسفورد" (بغوره، 2005، صفحة 202).

يجعل هذا التقسيم الفلسفة التحليليّة تيارات ثلاث؛ تيار اللغة العادية يقابله تيار اللغة الاصطناعية المنبثق أساسا من الوضعيّة المنطقيّة، وثالثهما هو تيار أفعال اللغة. إلا أن هناك من الباحثين من يخالف هذا التّقسيم حيث يرى أن اللغة الاصطناعية ما هي إلا وصف للّغة المنطقيّة الصارمة التي كان يستعملها أصحاب الوضعيّة المنطقيّة، إذ لا تبرح أن تكون تيّارا مستقلاّ بذاته، كما يُدرج تيّار آخر ضمن التّشكيلة المكوّنة للفلسفة التحليليّة، وهو تيّار الظاهراتية اللغويّة Phénoménologie du langage بزعامة إدموند غوستاف ألبرخت هوسرل Edmund Gustav Albrecht Husserl(1859-1938م)، وبهذا يصير نسيج الفلسفة التحليلية متكوّنا من:

أ- الوضعانية المنطقيّة Positivisme logique بزعامة(رودولف كارناب)

ب- الظاهراتية اللغويّة Phénoménologie du langage بزعامة (إدموند هوسرل).

ج- فلسفة اللغة العاديّة Philosophie du langage ordinaire بزعامة(فيتغنشتاين) (صحراوي، 2005، صفحة 22)

4. محل الفلسفة التحليلية من النزعتين؛ الاسمية و الإنسانية:

نشير هنا إلى أننا سنغفل الحديث عن الظاهراتية اللغويّة بزعامة إدموند هوسرل؛ ذلك كونها لا تشكّل أي أساس إبستيمولوجيّ لظاهرة أفعال الكلام، في حين يظهر هذا المكوّن جليّا بالنسبة للوضعية المنطقيّة وفلسفة اللغة العادية، وهذا، في حقيقة الأمر، ما حملنا على صبّ كامل اهتمامنا عليهما.

1.4 الوضعية المنطقيّة:

هي فلسفة أعضاء دائرة فيينا، مؤسّسها الفعلي هو موريتز شليك Moritz Schlick (1882-1936م) ، وقد" كانت دائرة فيينا تضمّ فلاسفة آخرين مثل هانزان الذي توفي عام 1934 و كورت فريدريش جوديل Kurt Friedrich Godel(1906-1978م) هيربيرت فجلHerbert feigl (1902-1988م) اللذان رحلا إلى أمريكا مع كارناب، وهانز ريشنباخ Hans Reichenbach(1891-1953) الذي كان يحرر مع كارناب مجلة المعرفة وفريدريش وايزمان Friedrich Waismann(1896-1959م) الذي رحل إلى أكسفورد و توفي بها ، أما الممثل الحقيقي لها اليوم هو كارناب (هويدي، 1966، صفحة 153)

ويبغي أصحاب هذه الدائرة أن يُطلق عليهم اسم الحركة بدل من المدرسة أو المذهب، حركة تعاونية يكون لكل منها نصيبه في تشييد البناء و إضافة لبنة أساس له . و إذا رُمنا الكشف عن المبادئ التي بُنيت عليها هذه الحركة ألفيناها وطيدةَ صلةٍ بالفلسفة الذريّة المنطقيّة، كما أنّها بمثابة امتداد لها، و إذا أتينا نصوغ تعريفا لها نقول إنها:" نزعة علمانيّة نشأت في سياق حملة النقد الموجّهة ضدّ تيار المناظرات الغيبية، والميتافيزيقية، وعرفت برفضها لكلّ ما ليس له وجود فيزيائي" (محمدمحمد، 2004، صفحة 46)، أما المبدأ الأساس الذي بُنيت عليه الوضعية رؤيتها الفلسفية هو مبدأ التحقيق Principle of verification ، وقد سجّل شليك ملاحظات حول هذا المبدأ في مقال له موسوم(المعنى والتحقيق)، يقول فيه:" إنّ ما يقصده الوضعيون بالتحقيق هو مجرد إمكانية التحقيق و فارق كبير بين الاثنين. فمن يأخذ نفسه بالتحقيق عليه أن يراجع ما تضمّنته القضيّة من أسماء وحدود على ما يقابلها في عالم الأشياء و على الوقائع التي في الواقع. أما من يأخذ نفسه بالبحث في إمكانية التحقيق فلا

يقوم أبدا بهذه المراجعة. بل يتّجه بذهنه و يحصر تفكيره في عالم الممكن. وفارق كبير بين عالم الممكن و عالم الواقع" (هويدي، 1966، الصفحات 32-33).

فهنا تصبح إمكانية التحقيق بدلا من التحقيق في حدّ ذاته، وقد كان شليك يفرّق بين نوعين اثنين من إمكانية التحقيق؛ إمكانية مرتبطة بالبعد التجريبي أو الحسّي، وإمكانية أخرى منطقيّة، وقد أغفل الأولى- إلا في بعض العلوم- كونها خاضعة للسّنن الطبيعية والنواميس الكونية التي نجهلها في كثير من الأحيان، وبهذا تصير إمكانية التحقّق الحسيّة ذات انعكاس واحد فقط وهي أنّها غير ممكنة التحقّق، في حين ركّز اهتمامه على الثانية، ويرى أن الأُطر المنطقية أو اللفظيّة/ النحويّة هي الكفيلة بتحديد ما هو ممكن وما هو غير ممكن" (هويدي، 1966، صفحة 33)؛ بمعنى آخر فإن أصحاب هذه الفلسفة يؤمنون" بالإمكانية المنطقية اللغوية فحسب. فنحن هنا إذن أمام مثالية مغرقة كل الإغراق، مسرفة كل الإسراف" (هويدي، 1966، صفحة 34)، ولعلّ هذا ما أوقعهم في تضارب منطقيّ؛ فإذا أراد هؤلاء فعلا أن يكونوا منطقيين في طرحهم فكيف يتسنّى لهم عدم إصدار أحكام متعلّقة بالتحقّق التجريبي للأشياء في الواقع، في حين يصدرون أحكاما حسيّة تجريبيّة أثناء تعاطيهم مع قضايا الميتافيزيقا ! (هويدي، 1993، صفحة 144)، وهنا بالذات أوقع هؤلاء أنفسهم في تناقض حينما اعتمدوا مبدأ التحّقق- في شقّه التجريبي الحسّي- في تحليل قضايا الميتافيزيقا، بينما أبطلوه لما حلّلوا قضايا العالم الأخرى.

وعلى الرّغم مما وقع فيه المناطقة الوضعيّون من تضارب، فقد قاموا بتزكية اللغة الرمزيّة للوجيستيقا وانتخبوها كي تكون اللغة الفعلية لتحليلاتهم، وفي هذا الشأن يقول كارناب:" إن تطبيق الترميز، على أي حال، أكثر أهمية لتحقيق مطلب ثان: يجب أن نبرهن أن كل المواضيع قابلة للاختزال إلى المواضيع الأساسية(أي،إن كل القضايا الخاصة بالمواضيع الأخرى تقبل التحويل إلى قضايا تتضمن فقط الرموز المنطقية و رموز المواضيع الأساسية " (كارناب، 2011، صفحة 325)، كما يقول في موضع آخر:" لن يضمن تطبيق اللغة الطبيعية، من دون ترميز خاص، هذا النقاء إلا إذا وحّده نسق من المفاهيم اللوجيستيقية باللغة الطبيعية يخص نظرية العلاقات كأهم فرع من اللوجيستيقا بالنسبة إلى النسق البنائي. مثل هذا النسق الطبيعي ليس متوفرا، ونشكّ في إمكانية تطويره، طالما أن فوائد المعالجة الرمزية واضحة بالنسبة إلى كل مهتم بنظرية العلاقات" (كارناب، 2011، صفحة 325)، فلا جدوى إذا في نظره من المجازفة والبحث عن شبه المستحيل، في حين أنّ ما في أيدينا فاعل و لا يشكّل أي التباس أو غموض.

وخلاصة لمجمل الرؤى والتصوّرات عند الوضعيين المناطقة، يجدر بنا أن نتساءل عمّا يأتي: هل كان الوضعيون أصحاب نزعة اسميّة أم إنسانية ؟ والجواب هو أنه إذا أتينا نتقصّى الاتجاه الاسمي عند أصحاب

الوضعيّة المنطقية نجده بارزا، بل حتى أنهم كانوا قد سلكوا فيه طريقا واسعا في نظرتهم للعالم، و كذا حينما درسوا المنطق و الرياضة والفيزياء (هويدي، 1966، صفحة 155)، و هنا بالذات عزموا" إلغاء واقعيّة الكون والأشخاص والظواهر العلميّة والطبيعيّة جميعا، والاتجاه بالدراسات اللغوية إلى الاهتمام بالتراكيب اللفظيّة دون الالتفات مطلقا إلى ما تشير إليه من معنى أو دلالة، اللهم إلا مغزاها الباطنيّ من حيث أنها ألفاظ تولّد ألفاظا أخرى" (هويدي، 1966، صفحة 155) ، وبما أنهم فرضوا في تحليلاتهم المنطق اللغوي الصارم؛ أي أن تحلّل القضية إلى رموز منطقية اصطناعية، فهذا بدوره كان قد جرّهم إلى اعتماد لغة اصطناعيّة بما أنّها" نظام من الرموز سوف يتخلص تماما من العيوب والأخطاء الفلسفية التي تزخر بها اللغة العادية" (عبدالحق، 1993، صفحة 33)، والمتتبّع في دراسات "رسل" المنطقيّة يجده يطلق على تلك اللغة الاصطناعيّة تسميات عديدة منها" اللغة الكاملة منطقيا واللغة المنطقية الكاملة و اللغة المنطقية المثالية، واللغة المنطقية، واللغة المثالية، وقد وضعت هذه اللغة من الفلاسفة لأغراض المنطق أساسا" (عبدالحق، 1993، صفحة 33)

2.4 فلسفة اللغة العادية:

سبق لنا أن تعرّفنا على اللغة التي كانت تُستعمل في التحليل عند الوضعيين المناطقة، وهي اللغة الاصطناعية التي اعتمدها رسل و نقد إثرها اللغة الطبيعيّة" بوصفها عاجزة عن التعبير بدقّة عن المفاهيم العلمية كما أنها كثيرا ما تضللنا بنظمها Syntax السيئة و بألفاظها الملتبسة. وها هو يقول: ينبغي في محاولتنا التفكير الجاد أن لا نقنع باللغة العادية، بما فيها من التباسات و مالها من نَظم سيّء. و أنا مازلت على اقتناع بأن التشبّث العنيد باللغة العادية في أفكارنا الخاصّة هو واحد من المصاعب الأساسية في سبيل التقدم في الفلسفة" (عبدالحق، 1993، صفحة 32)

وبما أنّ للغة الطبيعيّة أنصارا كثُرا ، فلم يكونوا ليسكتوا إزاء واقع اللغة الاصطناعية المفروض من لدن المناطقة الوضعيين، و لعلّ جورج مور كان" أول من وجّه أنظار الفلاسفة إلى البحث في اللغة العادية، وذلك لأنه استهدف تحليل القضايا الفلسفية التي يتم التعبير عنها باللغة العادية بغية تحديد ما تعنيه تلك القضايا على وجه الدقّة" (عبدالحق، 1993، صفحة 23)، وكان مور قد أكّد أكثر من مرّة على أن الغاية التي تطمح إليها الفلسفة ليست تحصيل المزيد من المعارف المجهولة و اكتشافها، إنما هي وضع تلك المعرفة السابقة في إطار واضح تتولى اللغة العادية القيام به (عبدالحق، 1993، صفحة 23)، و في مسعى الدفاع عن اللغة العاديّة رأى مور أنّه يوجد سبب رئيسي يؤدّي إلى حدوث تناقضات في مذاهب الفلاسفة وهو كونهم يعبثون باللغة العادية، مما سيؤدي بدوره إلى وَسْمِ أفكارهم وما يسجّلونه من ملاحظات بالشّطط (عبدالحق، 1993، الصفحات 29-30)، هذا من

جهة، ومن جهة أخرى فإن مور كان "على اقتناع كامل بأن مشكلات الفلسفة لا سبيل إلى حلّها بالمعالجات المنطقية و لا بمجرد ازدياد المعرفة العلمية، إن مفتاح حلها هو توجيه عناية مركزة للحس المشترك واللغة العادية" (عطية، صفحة 73)

لقد سعى مور في منهجه التحليلي هذا سعيا حثيثا لتنبيه الفلاسفة و توجيههم نحو الاعتناء بألفاظهم و تحديدها، و أيضا إلى ممارسة التحليل على ما يستعملونه من عبارات بغية تحقيق الوضوح و إزالة اللّبس عن مختلف القضايا الفكرية والكونية (عطية، صفحة 77). وفي الحقيقة فإنّ المحقّقين يرجعون تفلسف مور بالدرجة الأولى إلى" تفنيده لآراء منكري اللغة العادية. و إن الدور التاريخي العظيم لمور يكمن– حقيقة – في أنه ربما كان أول فيلسوف يدرك أن أية عبارة فلسفية تحيد عن اللغة العادية هي عبارة خاطئة، وأنه دافع بقوة عن اللغة العادية ضد الحيودات الفلسفية عنها" (عبدالحق، 1993، صفحة 28) . وقد سار لودفيج فتجنشتين في مرحلته الثانية على درب مور؛ حيث نبّه الفلاسفة هو أيضا إلى قضيّة مهمّة بخصوص اللغة العادية، و هي كونها معيارا صالحا لتحكيم ما نتلفّظ به من حيث الصحّةُ أو البطلانُ (عبدالحق، 1993، صفحة 34).

ولم يكتف فتجنشتين بالتنبيه إلى قيمة اللغة العادية ومدى فاعليتها في الفلسفة بل راح يعدّها جزءا لا يتجزأ من التاريخ الإنساني في بُعده الطبيعي؛ فقد عدّها كيانا عضويا إنسانيا مثلها مثل تلك الصور الأوليّة كإصدار الأوامر و طرح الأسئلة، و سرد الأحداث، والثرثرة، فكل هذه الصّور– بما فيها اللغة العادية– هي أجزاء تشيّد الكيان الطبيعي للإنسان تماما كما يمثّله المشي و الأكل والشرب واللّعب (عبدالحق، 1993، صفحة 35) ، وقد توصّل فتجنشتين في مرحلة متأخرة من فلسفته إلى أن " اللغة العادية صحيحة تماما ولا يحق للفلسفة أن تتدخل في الاستعمال العادي للغة، وما يمكن أن تفعله هو أن تصف هذا الاستعمال فحسب" (عبدالحق، 1993، صفحة 35) ، كما يعدّ ضربا من الخطأ– في نظره– أن نقول: "إننا في الفلسفة نعتبر اللغة المثالية مقابلة للغتنا العادية. لأن هذا يجعلها تبدو كما لو أننا نستطيع أن نضفي تحسينا على اللغة العادية. ولكن اللغة العادية صحيحة تماما" (سلوجا، 2014، صفحة 23)، كما نجده في موضع آخر يركّز على مفهوم النسق اللغوي وذلك حينما رأى أنْ لا حياة لجملنا إلا إذا دخلت في تشكيل جزء من نسق لغوي معيّن (سلوجا، 2014، صفحة 125) ، وهذا ما أدى فيما بعد إلى ظهور أفكاره الرئيسيّة التي اشتهرت بها فلسفته المتأخّرة؛ وهي ألعاب اللغة و صورة الحياة و تشابهات العائلة، وجميعها لا يخرج عن صلب فكرته المحوريّة و التي ترى بأنّ ما تحمله الكلمة من معان إنما يتحقّق أثناء استعمالها في اللغة (عبدالحق، 1993، صفحة 35)

إذا أخذنا بعين الاعتبار ما قام به كل من مور و فتجنشتين سندرك جيّدا كيف أنّهما كانا محض امتداد لمسيرة الصّراع بين النزعتين الاسمية والإنسانية في دراسة اللغة، حيث كانا قد انتصرا للثّانية على حساب الأولى، خاصّة مع مفهوم اللّعبة اللغويّة مع فتجنشتين، إذْ نجدها " تستقيم في أطروحته مع البعد الإنساني للغة في إطار الممارسة اليوميّة التي تحقق المعرفة الإنسانيّة عبر مسارات شكلية متنوّعة و متكاملة، وهذا تصوّر براجماتي يجعل اللغة مماثلة للّعب التي تقوم على قواعد يتعلّمها من يمارسها " (عكاشة، 2013، الصفحات 45-46). كما أن فتجنشتين كانت له خصوصيّة ميّزته عن مور، وهي أنه " بدأ بالارتباط بالنزعة الاسمية ، ثم كان انتقاله إلى النزعة الإنسانية، وفي ضوء هذا التحول الأخير التقت أفكاره مع العديد من التيارات الفلسفية كالبراجماتية و الماركسية والوجودية [...] وهكذا تطوّر فكر فتجينشتين إلى أن وصل إلى مرحلته الأخيرة، وهي المرحلة التي يعد فيها ضمن المهتمين بفلسفة الفعل" (الجزيري، 1986، صفحة 25)

ويجد المحقّق في الفلسفة المعاصرة – بعد فتجنشتين– أن الاهتمام المتزايد بالدراسات اللسانية أسهم بدوره في ازدهار النزعة الإنسانية في دراسة اللغة، وهذا ما برز في كل من الرؤى التي أتى بها بينيديتو كروشته Benedetto Croce (1866-1952م)، و فردينان دي سوسير Ferdinand De Saussure (1857-1913م)، حيث ثمّنا البعدين الإنساني والاجتماعي في دراسة اللغة و منحوهما كامل اهتمامهما (الجزيري، 1986، صفحة 30)

بالنسبة لكروشته فإنّه لم يكتف بالانتصار للنزعة الإنسانية في دراسة اللغة بل نظّم مسعاه في انتقاد النزعة الاسمية عند الوضعيين الذين زعموا حصر جميع أنواع المعرفة في تلك المدركة بالحواس (بوشنسكي، 1992، صفحة 10)، بل إنه نحا بتوجّهه الفلسفي هذا إلى أن لامسَ كثيرا من مبادئ الفلسفة البراغماتية (بوشنسكي، 1992، صفحة 108). و في هذا التمفصل الأخير من نظريته في اللغة كان قد تناولها بوصفها نشاطا اجتماعيا، فتلاشت بذلك معالم التصور الأرسطي للغة، بما يحمله من نزعة اسميّة، بل و تبدّت تقاسيمه عندما أدخل فيها فكرة البراكسيس الاجتماعي (الجزيري، 1986، صفحة 32)، ومن هنا فصاعدا صارت اللغة عنده" بصرف النظر عن منتجاتها و تأملاتنا بشأنها و أحكامنا على تعبيراتها [...] هو شيء مختلف كلية ، إنه شيء يقتحم حياتنا الأخلاقية و يتفاعل مع رغباتنا و شهواتنا و طموحاتنا و أفعالنا وعاداتنا و تخيلاتنا [...] و بذلك تتبدى اللغة في كل شيء يمكن أن نعدّه نشاطا عمليا" (الجزيري، 1986، صفحة 32)

أما سوسير فقد رفض النزعة الاسمية في النظر إلى اللغة منذ البداية، و رأى– كما رأى فتجنشتين قبله– أنّ النسّق اللغوي هو الكفيل بتحديد قيمة العلامة اللغويّة المحدّدة لماهية الصورة اللغوّية، وهنا فقط نستطيع أن نحدّد

قيمة العلامة اللغويّة في حدود ما تشكّله من علاقات مع الكلمات والعناصر الأخرى في النّسق، وعليه فأيّ عنصر في اللغة سوف لن يحمِل دلالة محدّدة إلا إذا دخل في علاقة مع بقية النّسق (الجزيري، 1986، صفحة 32). وقد توصّل سوسير، في الجزء الثالث و الأخير من محاضراته في علم اللغة، إلى أنّ الصّور اللغويّة إنما تستمدّ قيمتها من خلال المجموعة البشرية القائمة على استعمالها لا من النسق اللغوي الذي تعدّ جزءا منه، وبهذا يكون سوسير قد عَضد رؤية كروشته حينما ثمّن البعد الإنساني أثناء تحديد الصور اللغوية ماهية وقيمة (الجزيري، 1986، الصفحات 24-25)، و هو ما يؤكّد انتصاره للنزعة الإنسانية وترسيخها مبدأ في الدراسات البنيوية والسيميولوجية فيما بعد.

5. محل نظرية أفعال الكلام من الفلسفة التحليليّة:

أكّد فتجنشتين في كتاباته المتأخرة أن أصحاب الوضعيّة المنطقيّة كانوا مخطئين حينما جعلوا للغّة وظيفة واحدة مشروعة فلسفيا وهي أن تَصِف أو أن تُسَمِي، ولما كانت استعمالات اللغة متنوّعةً التجأ- كما أوضحنا سابقا- إلى ما يعرف بألعاب اللغة. كما بيّن من جهته ستراوسون- وفي السياق نفسه- أنّ رسل أخطأ عندما جعل للجملة استعمالا واحدا بدلا من مجموعة استعمالات، كما أخطأ مرّة أخرى عندما حصر الجملَ ذات المعنى في إمكانية صدقها أو كذبها (عبدالحق، 1993، صفحة 136) ، ولهذا أعاد النّظر في أفكار رسل و أكّد بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ " العبارات اللغويّة لا تنقل مضامين مجرّدة، وأن وظيفة اللغة لا تقتصر على وصف وقائع العالم وصفا صادقا أو كاذبا" (مرتضى، 2015، صفحة 41)

ولمّا كان أوستين امتدادا لفتجنشتين و ستراوسون، فقد أنكر من جهته أيضا أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف وقائع العالم وصفا صادقا أو كاذبا، و هذا ما أطلق عليه المغالطة الوصفية، ورأى أنّه يوجد نوع آخر من العبارات يشبه العبارات الوظيفية في تركيبها لكنه لا يصف وقائع العالم، ولا يوصف بصدق أو كذب (نحلة، 2002، صفحة 43)، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ معظم أبحاث فلاسفة أكسفورد جاءت لتفنيد هذه المغالطة المزعومة من أصحاب الوضعية المنطقية. و إذا ما نحّينا جانبا مفهوم الوصف/التقرير و ما يترتّب عنه من صدق أو كذب، فإنه سيحدث- في نظر أوستين و التداوليين عموما- شيء آخر حين نفكّر أو نتكلّم؛ سيكون بإمكاننا إنشاء صورة جزئية معيّنة من واقعنا التجريبي، وهذا ما يُعطينا إمكانيّة إحداث الفعل بمعناه الإنسانيّ تماما؛ أي بمعنى آخر يتوجّب علينا أن نشكّل صورة أو ننشئ مفهوما عن العالم الحقيقي، أو حتّى لِما ينبغي أن يكون عليه العالم (عبدالحق، 1993، صفحة 137)، و هذا ما يؤكّد فرضيّة " أنّ إنتاج المنطوق هو الذي ينجز فعلا بعينه، و أنّ نطق الكلمات هو المؤدي إلى إنجاز الحدث" (بيومي، 2010، صفحة 44)

والتساؤل الجدير بالطرح فيما توصّلنا إليه إلى حدّ الآن هو: كيف توصّل أوستين إلى نظرية الفعل الكلامي، والتي يكون فيها التلفّظ بالكلمات هو نفسه إنجاز العمل، أو كما يقول هو نفسه:" النّطق بالجملة هو إنجازها و إنشاؤها" (أوستين، 2008، صفحة 17)، وهذا ما اصطلح عليه فيما بعد بـ (الفرضيّة العمليّة)، ومفادها أن" كل قول هو تحقيق لعمل" (المبخوت، 2010، صفحة 9).

نقول في معرض الإجابة عن تساؤلنا السابق: إنّ أوستين لم يخترع هذه النظريّة اختراعا جذريّا؛ أي أنه لم يبنِ هذه النظريّة من الفراغ أو العدم، لكنّه توصّل إليها بإعمال فكره حينما أعاد اكتشافها ونفض الغبار عليها، وفي الحقيقة هذا ما أقرّ به هو نفسه حينما قال:" ثمّ إنّ الظاهرة المطروحة للنّقاش واسعة الانتشار وواضحة حتّى لا تكاد العين تخطئ ملاحظتها على هذا الوجه أو ذاك في هذا المكان وغيره . غير أني لم أجد أحدا قد ولى عنايته الكاملة لهذه الظاهرة " (أوستين، 2008، صفحة 13)

إذن، لقد لاحظ الفلاسفة الوضعيون– قبل أوستين– هذه الظاهرة فـ " توهّموا حينما افترضوا أنّ شأن الحُكم في القضيّة إما أن ((يصف)) حالة شيء ما، و إما أن ((يثبت واقعة عينية)) ممّا يعني أنّ حكم القضيّة إما أن يكون صادقا أو كاذبا" (أوستين، 2008، صفحة 12). أمّا بالنسبة لعلماء النّحو فقد انتبهوا إلى هذا الإيهام إذ لم يجدوا ضرورة تجعل من الجمل تفيد إما الإخبار و إما إنتاج الأحكام، فإضافة إلى هذين الاحتمالين لاحظوا أنّ هناك جملا تفيد الاستفهام أو التعجّب أو الأمر أو التمنّي، أو حتّى التعارض (أوستين، 2008، صفحة 12)

يؤكّد أوستين فيما سجّله حول تلك الظاهرة أنّ النحاة والفلاسفة كانوا مدركين لهذه الحقيقة، كما كانوا أيضا على دراية تامة بأنه ليس من السّهل في جميع الأحوال تمييز الجمل الاستفهامية والطلبية عن الخبرية، وذلك بسبب ما نفتقر إليه من علامات نحويّة كضابط نظم الألفاظ وترتيبها، وكصيغ الأفعال ونحوها (أوستين، 2008، الصفحات 12–13) ؛ يقول أوستين:" لأننا في نهاية الأمر لا ندري كيف يمكن أن نميّز أصناف هذه الجمل ونفصل بعضها عن بعض؟ ثم ما هي الحدود التي تفصل بينها؟ وكيف نعرفها؟" (أوستين، 2008، صفحة 13)

وفي سبيل الكشف والتمحيص كان أوستين قد وضع جملا تحت محكّ التجريب مثل(آمرك بالصمت)،و (أعدك بأن آتي غدا)، فرأى أنّه في هاتين الجملتين لا يمكن أبدا أن نتحدّث عن وضعيّة الكون إما بوصف أو تقرير، بل ما نحقّقه فعلا عندما نتلفّظ بهما هو إنشاء وقائع في العالم أو تغييرها؛ فالذي يأمر بالصّمت يكون مسعاه إلزام مخاطبه بالصمت، كما يمكن أيضا أن يكون ناويا إحداث تغيير في الكون فينتقل به من الضجيج إلى السّكون، بينما الذي يعد بأنه سيأتي غدا يكون مبرما وعدا وضربا من الالتزام والعقد الأخلاقي بينه وبين مخاطبه،

مع العلم أن هذا العقد لم يكن له أثر من قبل، فبمجرّد أن يتلفّظ بتلك الجملة يكون قد أنشأ جديدا أو أحدث تغييرا (روبول–موشلار، 2003، صفحة 30).

وحريّ بنا، ونحن نتقصّد ذلك، أن نتوقّف عند هذا الحدّ من ظاهرة أفعال الكلام، إذ ليس هدفنا، كما أوضحنا في المقدّمة، التعرّف على تفاصيلها و حيثياتها، إنّما هو التعرّف على المناخ الفلسفي الذي انبثقت منه هذه الأخيرة ضمن الفلسفة التحليلية، فأيّ الاتجاهين ولدت من رحمه؟ هل الوضعيّة المنطقيّة أم اللغة العاديّة ؟

لم يكن لنظرية أفعال الكلام أن تنبثق من صلب الوضعيّة المنطقيّة، أو أن تُولد من رحمها، فقد كانت الأخيرة تولي عناية فائقة للنّصوص الفلسفية، كما أنها سعت سعيا حثيثا لتقليد مناهج الجبر السّائدة في تلك الحقبة؛" فالجبر هو دراسة الدال، والبنيويّة ذات ماهية جبرية، والكل يرتقي بالاتجاه الصّوري على حساب المضمون(أو المعنى) " (جعفر، 2004، الصفحات 8–9). لقد تعاملت الدراسات الوضعيّة مع النّصوص الفلسفية معاملة علميّة صارمة، طبّقت عليها المنهج الرّياضي الجبري، وهذا ما جعلها تضرب صفحا عن قضايا من صلب اللغة العادية/ الطبيعيّة، بل وجعلها تهتم بعمل واحد فقط وهو نقد الأنظمة والأنساق الفلسفية (بغوره، 2005، صفحة 202)، ولهذا حادت ظاهرة أفعال الكلام عن روافد الوضعية المنطقيّة، وانعطفت نحو تيار اللغة العاديّة فانبثقت منه (صحراوي، 2005، صفحة 22). وبما أنّ فلسفة اللغة العادية– كما رأينا سابقا– جاءت مثمّنة للنّزعة الإنسانية و منتصرة لها على حساب النزعة الاسميّة في دراسة اللغة، فمن المنطقي و بالتعدّي ستكون نظريّة أفعال الكلام أيضا– بما أنها منبثقة منها– ذات نزعة إنسانية اجتماعيّة؛ لأنّ "...الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فحسب، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن في آن..." (بيومي، 2010، صفحة 417).

ويجدر بنا، ونحن ننقّب عن الأسس المعرفيّة لأفعال الكلام، أن نشير إلى التقارب الحاصل بين الفلسفة البراغماتيّة/ النفعيّة Pragmatisme و الفلسفة التحليليّة الإنجليزية المتأخّرة (موريس، 2011، الصفحات 188–189)؛ فقد توافقت الفلسفة التحليليّة الإنجليزية في بعدها اللغوي الذي وضعه فتجنشتين بطريقة عامة و فريدريش لودفيج جوتلوب فريجهFriedrich Ludwig Gottlob Frege (1848–1925م) مع الفلسفة البراجماتية في ربط المعنى بالفعل" (موريس، 2011، الصفحات 189–190)، ليس هذا فحسب بل قد اشتركت أيضا البراغماتيّة مع الفلسفة التحليلية وبعض الحركات الفلسفيّة في كونها ذات توجّه إنسانيّ؛ إنها حركات" يدعمها الإنسان الحديث لكي يفهم ذاته و أنشطته فضلا عن أنها محاولات لوضع الإنسان نفسه في بؤرة هذه الحقبة الزمنية الخاصة بالتحول الأساسي في التاريخ البشري " (موريس، 2011، صفحة 190).

ولما كانت الوضعيّة المنطقيّة تربط المعنى بالتحقّق، فقد ربطته الفلسفة البراغماتيّة بالفعل/ الإنجاز الناجح، وهنا بالضبط تأثّر أوستين بهذه الرؤية الجديدة فرأى أنّ الجمل الأدائية هي أيضا لها معنى و معناها هو الفعل أو الإنجاز الناجح، ثم بعد ذلك جعل كل الجمل، خبرية كانت أو أدائية، ذات معنى فقط؛ لأنها تؤدي فعلا/ تنجز عملا ناجحا، وهذا ما أكّد عليه هو نفسه عندما عرض الجمل الخبرية على الفحص فوجدها هي الأخرى مشتملة على شروط الإنجاز/النجاح، وبهذا قلب المعادلة من جملة ذات معنى= إمكانية التحقق إلى جملة ذات معنى= تؤدّي/تنجز فعلا لغويا ناجحا).

تأثّر أوستن أيضا، وبطريقة مباشرة، بالتداولية Pragmatics التي أسس لها الأمريكي تشارلز موريس Charles Morris(1903–1979م) سنة 1938 في مقال له ضمن موسوعة علميّة، حيث" بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي: علم التراكيب[...] وعلم الدلالة[...] و أخيرا التداولية التي تُعنى، في رأي موريس، بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها" (روبول–موشلار، 2003، صفحة 29)، و على الرّغم من بروز مصطلح التداولية لأوّل مرة بهذا المفهوم، فقد بقي محاصرا لا يغطّي أيَّ بحث لسانيّ رسمي (روبول–موشلار، 2003، صفحة 29)، إلى أن حاضرَ أوستين في جامعة هارفارد ضمن محاضرات وليام جايمس William James Lectures (1842–1910م) سنة 1955. كما أنّ أوستين– ضمن هذه المحاضرات– لم يكن ناويا إنشاء اختصاص فرعي مكمّل للسانيات، فقد كان مسعاه الأوّل والأخير إبداع فرع فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، وقد حقّق فعلا ما كان يصبو إليه، إلا أنه تجاوز هذا، وربما دون وعي منه، فكانت محاضراته منبعا خصبا للتداولية اللسانيّة حيث ظلّت توجّهها نحو ثلاثين سنة (روبول–موشلار، 2003، صفحة 29)

وبمزيد من الفحص والتقصّي يجد الباحث أنّ التداولية كانت متزامنة في نشأتها مع ظاهرة أفعال الكلام عند أوستين؛ فمحاضرات وليام جايمس في هارفارد لم تكن تهدف إلاّ لدحض و تفنيد أحد أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية، و هو أن وظيفة العبارات اللغوية تختصّ فقط بوصف الوقائع الكونيّة، وأطلق أوستين، كما رأينا سابقا، على هذه الفرضيّة المزعومة من المناطقة الوضعيين تسمية الإيهام الوصفي، و نذر لها ما تبقى من محاضراته (روبول–موشلار، 2003، الصفحات 29–30) لتأكيد مجافاتها للصّواب الاستعمالي اللغوي و حتّى المنطقي. و إذا كانت التداولية ونظرية أفعال الكلام متزامنتين في نشأتهما فإنّما لتأثّرهما بفلسفة اللغة العاديّة التي تعدّ أهمّ فرع في الفلسفة التحليليّة المعاصرة، و قد بدا تأثّرهما بالأخصّ عند فتجنشتين حين أكّد في كتابه(بحوث فلسفيّة) " التطوّر المعرفي والمنهجي في مظاهر الاتصال اللغوي، وقد تجاوز فيه مذهب من يرون أن اللغة مجرّد آلة تقرّر الوقائع عبر التصوير إلى دراسة المظاهر العامة للاتصال بين مستعملي اللغة" (عكاشة، 2013، صفحة

46)، وهي الفكرة نفسها التي انبرت التداوليّة تجسّدها فيما بعد بزعامة أوستين و سيرل، ووُجد لها أثر حتّى في أعطاف و ثنايا مختلف التيارات الفلسفية واللسانية مما جعلها تنحو منحى تداوليا جليا وهي تمارس تحليلها اللغوي.

6 .الخاتمة:

لقد برزت ظاهرة أفعال الكلام كنتاج علميّ فعليّ في رحاب التداوليّة، بل كان منشأها متزامنا مع منشئ التداوليّة؛ إذ لم يظهر مفهوم هذه الأخيرة إلا عندما عكف أوستين على تفنيد المغالطة الوصفيّة و تكريس الفعل الكلامي ضمن محاضرات وليام جايمس، كما تأكّد أن التداولية كانت متقاطعة و متقاربة مع الفلسفة البراغماتيّة من حيث أنهما كانا قد ربطا المعنى بالفعل في حين كانت الوضعية المنطقية قد ربطته بالتّحقّق.

تبيّن لنا أيضا في هذه الورقات كيف دخلت الفلسفات التقليدية في تهافت منطقي فحلّت بها اضطرابات جمّة إلى أن جاءت الفلسفة التحليلية التي انشطرت إلى فروع ثلاثة هي الوضعية المنطقية وفلسفة اللغة العادية والظاهراتية اللغويّة، وقد تبيّن- بعد البحث والتقصّي- كيف أنّ ظاهرة أفعال الكلام كانت قد انبثقت من أهمّ فرع لها وهو فلسفة اللغة العاديّة التي اهتمّت بالإنجازات الكلاميّة الناجحة مراعية في ذلك الأحداث الاجتماعية المحيطة بها، مما جعلها ظاهرة ذات نزعة فلسفيّة إنسانية تسعى حثيثا لفهم الإنجازات الكلامية للإنسان الحديث ووضعه كبؤرة في التحليل الفلسفي المعاصر.

7.قائمة المراجع:

-أفلاطون، (1995)، محاورة كراتيليوس في فلسفة اللغة، ترجمة عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة،عمان الأردن.

-الجزيري،محمد مجدي، (1986)، المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، دار آتون للتوزيع.

-المبخوت،شكري، (2010)، *دائرة الأعمال اللغوية مراجعات و مقترحات*،ط 1،دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت- لبنان.

-أوستين،جون لانكشو، *نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات*، ترجمة عبدالقادرقينيني،ط02،أفريقيا الشرق، المملكة المغربية.

-بغوره،الزواوي،(2005)، *الفلسفة واللغة*، ط01، دار الطليعة، بيروت- لبنان

-بوشنسكي،إ.م، (1992)، *الفلسفة المعاصرة في أوروبا*، *ترجمة*عزت قرني، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت.

-بيومي،سعيد أحمد، (2010) *لغة القانون في ضوء علم لغة النص دراسة في التماسك النصي،ط02*، دار الكتب القانونية ودار شتات للنشر والبرمجيات، مصر.

-جعفر،عبد الوهاب، (2004)، *الفلسفة واللغة*،ط02، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الاسكندرية-مصر.

-روبنز،ر.ه، (1997)، *موجز تاريخ علم اللغة في الغرب*،ترجمة أحمد عوض،عالم المعرفة، الكويت.

-روبول،آن وموشلار،جاك، (2003)، *التداولية اليوم علم جديد في التواصل*،*ط01*، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان.

-سلوجا،هانس، (2014)، *فتجنشتين*،ط01، ترجمة صلاح إسماعيل،المركزالقومي للترجمة،القاهرة-مصر.

-صحراوي،مسعود، (2005)، *التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*،*ط01*،دار الطليعة، بيروت-لبنان.

-عبدالحق،صلاح إسماعيل، (1993)، *التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد*،*ط01*،دار التنوير، بيروت-لبنان.

-عطية،أحمد عبد الحليم، *الفلسفة التحليلية ماهيتها مصادرها ومفكروها*، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

-عكاشة،محمود،(2013)، *النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ*،ط01، مكتبة الآداب،القاهرة-مصر.

-كارناب،رودولف، (2011). *البناء المنطقي للعالم و المسائل الزائفة في الفلسفة*،*ط01*،ترجمة يوسف تيبس، المنظمة العربية للترجمة،بيروت- لبنان.

-محمد محمد، يونس علي، (2004)،*مدخل إلى اللسانيات*،*ط01*، دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت- لبنان.

-مرتضى،جبار كاظم، (2015)، *اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين*،*ط01*، منشورات دار الأمان و آخران، الرباط- المغرب.

-مهران،محمد، (1976)، *فلسفة برتراند رسل*،*دار المعارف*، مصر.

-موريس،تشارلز، (2011)، *رواد الفلسفة البراجماتية*،*ترجمة*إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية- مصر.

-نحلة،محمود أحمد، (2002)، *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*، دار المعرفة الجامعية، مصر.

-هويدي، يحي، (1993)، *قصة الفلسفة الغربية*،ط01، القاهرة- مصر.

-هويدي،يحي، (1966)، *ماهو علم المنطق دراسة نقدية للفلسفة الوضعية المنطقية*،*ط01*، مكتبة النهضة المصرية، مصر.